

الرؤية الفلسفية لنضال الجزائريين خلال حرب التحرير:

موقف جون بول سارتر أنموذجا

The philosophical perspective on the Algerian struggle during the War of Liberation:

The position of Jean-Paul Sartre as a model

محمد لصفّر¹*

¹كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيبازة، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2026/04/06، تاريخ القبول: 2026/04/14، تاريخ النشر: 2026/04/30

ملخص:

نتناول في هذه الورقة البحثية بتحليل موقف جون بول سارتر الفيلسوف الوجودي الداعم الثورة الجزائرية خاصة، والحركات التحريرية عامة، باعتباره أحد أكبر أعلام الوجودية المعاصرة التي تشجع على الحرية، وعلى الرغم من الموقف المعتدل من الاستعمار الفرنسي في البداية، إلا أن بشاعة الجرائم التي ارتكبتها وامتدادها في كامل قطر التراب الوطني جعل من سارتر يناضل من أجل حرية الجزائريين ويساند قضيتهم بجميع الوسائل وهو الموقف الذي ظل راسخا إلى غاية استقلال الجزائر. كما يظهر ذلك في مجلة الأزمنة الحديثة. وهو ما نحاول تحليله في هذه الورقة البحثية-فكيف تم ذلك؟

الكلمات المفتاحية: جون بول سارتر، الثورة، الجزائر، الدعم، الرؤية.

Abstract:

In this research paper, we analyze the stance of Jean-Paul Sartre, the existentialist philosopher, who supported the Algerian revolution in particular, and liberation movements in general. Sartre is considered one of the greatest figures in contemporary existentialism, which encourages freedom. Despite his initially moderate stance toward French colonialism, the horrific crimes it perpetrated and their spread throughout the country prompted Sartre to fight for the freedom of Algerians and support their cause by all means. This stance remained steadfast until Algeria's independence, as demonstrated in the journal *Les Temps Modernes*. This is what we attempt to analyze in this research paper—how did this happen?

Keywords: John Paul Sartre, Revolution, Algeria, Support, Vision.

تمهيد

استطاعت الثورة الجزائرية بقوتها وشرعيتها ومبادئها، أن تكسب الدعم والمساندة من العديد من الشعوب والبلدان التي تؤمن بحقها في العيش الكريم وتتوق إلى الحرية.

ولم تكن الشعوب فقط هي التي ساندت فكرة الثورة وإنما تعدى الأمر إلى العديد من المثقفين والأدباء والفلاسفة الذين ساندوا الثورة التحريرية من الشعوب المستعمرة لإيمانهم الراسخ بالحرية التي هي في الأصل مبدأ إنساني سامي، بل وتعدى دعم الثورة وانتشر حتى في أواسط المفكرين الذين ينتمون إلى الدول الاستعمارية. واصطفاهم اللامشروط بالقضايا العادلة. ومن بين هؤلاء المفكرين نذكر الفيلسوف والأديب الفرنسي جون بول سارتر. من هنا جاءت فكرة المداخلة، التي نحاول فيها الإجابة عن الإشكالية: -فيما يتمثل موقف سارتر من الثورة؟ وهل يمكن أن يضاف موقف سارتر إلى المواقف المدعمة للثورة التحريرية؟

للإجابة عن هذه الإشكالية قمنا بتقسيم المداخلة إلى أربعة عناصر أساسية تتمثل فيما يلي:

1- الوجودية كحافز للحرية.

2- سارتر والثورة الجزائرية.

3- البعد الإنساني لموقف سارتر.

المنهج:

إن الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها من الإشكاليات يتطلب الاعتماد على المنهج التحليلي تارة عندما نعمل على إبراز الرابطة الجامعة بين مبادئ الثورة ومواقف سارتر اتجاه القضايا العادلة عموما والتي استندت إلى مبدأ الحرية. كما نعمل على المنهج التاريخي الوصفي عندما نبحث عن دور سارتر الداعم للثورة الجزائرية من خلال المواقف المستنسخة من جريدة الأزمنة الحديثة وإبراز مختلف المواقف التي تضاف إلى نضال الجزائريين.

1- الوجود كحافز للحرية :

تأسست الوجودية على ضوء النزاعات والصراعات التي كانت موجودة في العالم، وبالأخص ما خلفته الحرب العالمية الثانية وتهديد حياة البشر، إذن فالهدف المنشود من وراء وجود هذا المذهب كفاعل أساسي في الفكر الإنساني يرتكز بالأساس على إعطاء فكرة الوجود أهمية بالغة وهو ما عبر عنه جون ماكوري، ويخالف هذا التوجه الفلسفات الميتافيزيقية التي ابتعدت عن تشخيص واقع الإنسان فهو إذن فلسفة عن الذات، لا عن الموضوع كما هو الحال بالنسبة للمثالية والتجريبية. فالذات الوجودية تختلف عن معناها في الفلسفات السابقة، ولهذا "إن الذات عند الفيلسوف الوجودي هي الوجود في نطاق تواجد الكمال فهذا الوجود ليس ذاتا مفكرة فحسب وإنما هو الذات التي تأخذ المبادرة في الفعل وتكون مركزا للشعور والوجدان. فما تحاول الوجودية التعبير عنه هو هذا المدى الكامل من الوجود الذي يعرف مباشرة وعلى نحو عيني في فعل التواجد نفسه (جون ماكوري، 1982، ص 17)..

ويعد سورين كيركغارد أحد المؤسسين والأب الروحي للفكر الوجودي، وهو ما عبر عنه في مؤلفاته الرئيسية: «الشذرات الفلسفية» و«حاشية ختامية غير علمية». إضافة إلى إسهامات مارتين هيدغر في كتابه: «الوجود

والزمن". ويمكن القول أن الوجودية تنقسم إلى وجودية مؤمنة ووجودية ملحدة. كل هذا الإسهامات الفلسفية الرصينة كانت بمثابة الحافز للانطلاق نحو التسليم بالحرية عند سارتر، فالإنسان لكي يثبت وجوده وذاته يجب عليه كما يؤكد سارتر اختيار نفسه بحريته ومنه ماهيته بحريته وإرادته، شريطة أن تكون هذه الإرادة حرة وخيرة كما يؤكد، "فالإنسان يلتزم في حياته وهو التزامة يرسم صورة ما سيكون عليه وجوده وكل ما يمكن أن يكون عليه هذا الوجود يرسمه الإنسان داخل هذه الصورة لكنه لا يصنع شيئا كان من الممكن أن يكون خارج الصورة" (جون بول سارتر، 1964، ص 40) وانطلاقا من ذلك كله فملاحم الحرية تتضح في علاقتها بالوجود عندما يحدد الإنسان ماهيته بعد وجوده، ولهذا نستطيع أن نعترف بأن الإنسان لا يكون ذاته ²أما وحقا إلا في حالة الفعل الذي يشتمل على الفكر والحرية والقرا (جون ماكوري، 1982، ص 207). ويعد هذا الطرح تسليما دقيقا بالمبدأ الوجودي العام: "الوجود يسبق الماهية". فالإنسان حر حرية مطلقة، لأنها خاصية ماهوية فنحن في المجلد لا نستطيع أن لا نكون أحرار. أن التسليم بحرية الفعل الصادر عن الإنسان، هو في الوقت ذاته تسليم بمطلقيته وعالميته، وهو التأكيد الذي أراده سارتر أن يعمم. "وبهذا المعنى فما تريده الوجودية كما أرادها سارتر: هو تلك الصفة المطلقة للالتزام الحر. الذي به يحقق كل إنسان نفسه بتحقيقه لنموذج من نماذج البشرية" (جون ماكوري، 1982، ص 49) وهكذا استطاع سارتر أن يؤكد على مبدأ من مبادئ الفكر الوجودي الذي هو مبدأ إنساني سامي اعتنقته وأمنت به كل شعوب العالم، ومنها الشعب الجزائري من خلال ثورته المجيدة. وقد اقترن اسم سارتر بالثورة الجزائرية أيما اقتران لموقفه المتميز والبارز منها فما هي أهم مسلمات هذا الموقف؟

2- سارتر والثورة الجزائرية:

عندما دقت طبول حرب التحرير الوطني 1954 أميط اللثام، الذي كان يحجب الوجه البشع للاستعمار الفرنسي من خلال حجم الجرائم المرتكبة في وجه الشعب الجزائري، وطرق الاستنزاف التي استعملها، وتشريد مئات الآلاف من العائلات وحالات التعذيب الوحشي. حينها تعالت أصوات الكراهية ليس من الجزائريين فقط. وإنما من جميع الشعوب التي تؤمن بالحرية والقضايا العادلة في العالم. واتحدت المواقف ضد هذه الحملة الشعواء التي استهدفت حرية الجزائريين. ومن بين هذه المواقف موقف المثقفين الفرنسيين، الذي يمكن تصنيفه إلى قسمين، قسم يؤمن بالثورة وبمبادئ السلم والعدل. ويعتبر قضية الجزائريين قضية عادلة تتطلب تصفية الاستعمار تحت شعار "لا استعباد الشعوب وكبح الحريات"، والقسم الآخر انحاز للاستعمار وظل يدافع عنه وعن فكر: "الجزائر فرنسية". مثلما كان الحال في مجلة: le fagiro التي نشرت العديد من المثالات لطمس الحقائق وتزييفها ليس إلا، وأمام هذا الجو الكاحل ظهر موقف سارتر ليجسد موقف المفكر الحر الذي وقف في وجه الاستعمار ومشروعه البغيض إيمانا منه، بضرورة تحرر الشعوب كيف لا وهو الذي كان ينادي: "الحرية"، ويعتبرها مبدأ طبيعى إنساني يلغي من خلاله فكرة التمييز بين الشعوب. وهو ما ظهر جليا في مجلة: "الأزمة الحديثة"، وسلسلة اللقاءات التي كان يجريها احتجاجا على السياسة الاستعمارية، وهو ما يؤكد مرة أخرى أن سارتر لم يقف موقف المتفرج من هذه الأحداث، بل ضم صوته إلى صوت زملاءه اليساريين: ريمون ارون بيار فيدال، ناكي..... الخ.

وعلى العموم يمكن أن نستخلص من خلال المسار التحرري الذي دعى إليه سارتر، مرحلتين في خطابه. مرحلة متهذبة في نظرته إلى الاستعمار الفرنسي لأنه كان يرى أن الاستعمار الفرنسي، لم يكن له من مبرر في استعمار الجزائر إلى البحث

عن مآرب اقتصادية بحتة وفقط، على الرغم من عدم اقتناعه بهذا المبرر وغيره. إلا انه تبين له فيما بعد أن الدوافع الاستعمارية زادت عن حدها فتحوّلت استغلالية ووحشية فقد مارس الجيش الفرنسي كل أنواع التعذيب على الشعب الجزائري رغم استهجانه من قبل الأديان السماوية والقوانين الوضعية التي كانت تحتكم إليها شعوب المعمورة في مثل هكذا حالات (خديم أسماء، 2020، ص 223)، إذ يرى سارتر "أن التعذيب الذي يتوارى بميوعة أحيانا. ولكنه يطبق بانتظام وراء ستار من الديمقراطية يمكن تعريفه بأنه أداة نصف سرية... لكنه يقابل في كل مكان بالنفور والاشمئزاز انه لا أهمية لذلك.... ولنكتف بان ننظف أمام بيتنا ولنحاول أن نتفهم ما الذي أحاط بنا نحن الفرنسيون" (جون بول سارتر، 2011، ص 41) هكذا كشف سارتر بشاعة جرائم الاستعمار وأدرك أن نية المستعمر تتمثل في القضاء على التماسك الاجتماعي للمجتمع الجزائري. وان ما يروج له الغرب عامة وفرنسا خاصة عن حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية هي قناع يخفي الوجه الحقيقي للمحتل لا غير: "أما هنا في الجزائر فقد فرض قانون أجنبي على المسلمين يدافع بالسلب والنهب-فمن المعروف أن هذا القانون لا يمكن أن يطبق عليهم. وليس له من اثر إلا هدم البناء الداخلي للمجتمع الجزائري" (خديم أسماء، 2020، ص 223) فتحوّل خطابه حينها من الموقف المعتدل إلى المستهجن للاستعمار الفرنسي وسياسته الوحشية، بل وأصبح ممثلا غير مباشر للقضية في فرنسا وعند الرأي العام العالمي، وهكذا أصبح سارتر بمواقفه صوتا للثورة الجزائرية. وبمقتضى ذلك تعززت لدى سارتر فكرة الحرية وتخللت كل أعماله الأدبية والفلسفية. وأصبحت مرجعية في نضال المفكرين مهما كانت انتماءاتهم السياسية والحزبية وطنية كانت أم قومية، وقد ظهرت أولى كتابات سارتر حول الثورة الجزائرية في مجلة الأزمنة الحديثة، التي كان المشرف عليها، إذ صدر له مقال نشر في نوفمبر 1955 تحت عنوان: "الجزائر ليس فرنسا"، كما صدر له مقال في مارس 1956 عنوانه: "الاستعمار نسق" إذ صرح في هذا الأخير مستنكرا جرائم الاستعمار قائلا:

" لقد كان الغزو بالعنف الاستغلال و الضغط تطلب العنف من خلال الحضور الوحشي للجيش، لقد رفض المستعمر حقوق الإنسان من خلال التعذيب، الفقر، الحرمان والأمية إنها حالة "ما دون إنسانية" كما قال ماركس Marx وقد وجدت وهذه الحالة في المؤسسات ، في الطبيعة ، ومن خلال التبادل والإنتاج الاقتصادي ، إن العنصرية أصبحت السمة البارزة لهذه المرحلة" (سواريت بن عمر، 2012، ص 2).

أن عدالة الثورة الجزائرية جعل سارتر يجدد قراءة التاريخ قراءة واعية، استطلع من خلالها دور جديد للتاريخ الإنساني. الدور الذي ينبغي أن يتسلح بقيم العدل والمساواة بين شعوب المعمورة، دون إقصاء أو تهميش لشعب ما، وقد استفادت الثورة الجزائرية من نهضة المفكرين الفرنسيين المشايعين لحرية الشعوب، و أصبح نسبة كبيرة من الفرنسيين يمقتون الاستعمار، فالفكر الحر الذي تبناه سارتر حرك العقول النائمة. وقد شرح سارتر الجانب اللانساني من خلال سياسة التعذيب الوحشية. وهو ما صرح به في كتابه عارنا في الجزائر قائلا: "أن انعدام الانسانية لا يوجد في أي مكان الا في ظل الكابوس الجائر على الصدور الذي يتولد من الخوف" (جون بول سارتر، 2011، ص 47). ويجب عن التساؤل – ماهؤلاء الجلادون؟ يجيب قائلا:

"....ولقد كان من الممكن أن يكون حظنا كبيرا لو كانت هذه الجرائم التي يرتكها حفنة من الحاقدين، ولكن الحقيقة هي أن التعذيب يخلق الجلادين" (جون بول سارتر، 2011، ص 50) أن الجلاد تجرد من إنسانيته، فهم يفقدون تحضرهم وتمدهم الذي كان شعارهم الأزلي، واتضحت معالم التنديد بالعنف عند سارتر في كتاباته ونشاطاته

السياسية. فقد كتب رواية المسرحية القيمة التي تبين نوايا الاستعمار الفرنسي الغاشم مقارنا إياها بالنازية "سجناء الطوبا" وهي تعالج الأساليب الوحشية المطبقة على الشعب الجزائري (عمراني عبد الحميد، د.س، ص 111) ومن هنا نستنتج بان موقف سارتر تجاه المعذبين الجزائريين كان ايجابيا، لأنه حاول أن يبين الجرائم الناتجة عن التعذيب في الجزائر وتفسير ما يسمى بحقوق الإنسان" (عمراني عبد الحميد، د.س، ص 113).

ويبدو أن هذا الوضع اللإنساني الذي عان منه الشعب الجزائري سبق وان عاشه الفرنسيون بأنفسهم أثناء الحرب العالمية الثانية.

خاتمة:

نستنتج مما سبق ذكره أن الجرائم الفرنسية في حق الشعب الجزائري تبين حقبة مظلمة من تاريخ فرنسا الاستعمارية، وان الثورة التحريرية من اكبر الثورات الشعبية في العصر الحديث التي أرادت أن ترسي قيم العدل والتسامح وان تلتزم بضمان الحرية التي هي في النهاية حق طبيعي، نادت به كل القوانين والمواثيق الدولية والأديان. وقد نجحت الثورة أن تكسب في صفوفها نضال مفكرين وأدباء من أمثال سارتر ريمون ارون فرانس فانون.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- سارتر جون بول، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم حنفي، مطبعة الدار المصرية. ط1، القاهرة، 1964.
- 2 خديم أسماء، جون بول سارتر وهاجس الالتزام الإنساني مع الثورة الجزائرية -مقاربة لعلاقة المثقف بالثورة، مجلة الأنوار، المجلد 10، العدد2، 2020.
- 3-جون بول سارتر، عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون طبعة، 2011.
- 4 - سواريت بن عمر، جان بول سارتر و الثورة الجزائرية أنموذجا، مجلة الحوار الثقافي، العدد1، 2012.
- 5- عبد المجيد عمراني، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبة مديولي، بدون طبعة، الجزائر، بدون سنة.